الأهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــــرام

التاريخ : ١٩٧٢/٣/٣

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

أين نركـز الآن ؟!

... اذا كان العمل السياسي لازما لكل ازمة من الأزمات ، في اي وقت وظرف ، فلقد يكون مناسبا ان نتذكر أن العمل السياسي **انواع والوان** ، وان العمل السياسي **مساحات ودرجات** .

اى انه لكل وقت : نوع ولون ومساحة ودرجة من العمل السياسي .

كما انه لكل ظرف : نوع ولون ومساحة ودرجة من العمل السياسي .

وقد عرف العرب البلاغة قديما فقالوا انها « مراعاة مقتضى الحال » كما ذاع القول المشهور تعبيرا عن ذلك بأن « لكل مقام مقال » .

واظن أن هذه المأثورات القديمة ، مازالت صالحة للعصر الجديد ، لأنها خلاصة متطرفة لخبرات انسانية وتاريخية ، طويلة وعميقة .

□

وعلى هذا الأساس ، فاننا امام سؤال حيوى :

ـ ماهو نوع ولون ومساحة ودرجة العمل السياسي اللازم لهذا الوقت والظرف ؟ »

أو بتعبير آخر :

ـ ما هو العمل السياسي الملائم لهذه المرحلة ؟ »

□

ان الاجابة على هذا السؤال تفترض بل وتقتضي العودة الى تعريفات وتحديدات اراها ضرورية ، لكى تكون هناك لغة مشتركة فيما يدور بيننا من حوار وحتى لانقع فيما يسمونه في لبنان « حوار الطرشان » وهو حديث بين من لايسمعون بعضهم ، ولا يفهمون عن بعضهم ، ومع ذلك فكل منهم يتكلم ، وهو في النهاية يقول لنفسه ولا يمكن أن نسمي ذلك بوصف « الحوار » !

ولعل أول شيء يتحتم علينـــا أن نصل فيه الى تعريف وتحديد هو أن نضع أمام أنفسنا البدائل المتاحة لنـــا للخروج من هـــذه الأزمة التي نعيشـــها الآن في الشرق الأوسط .

وهنـــاك رأى يقول اننا أمام بديلين فقط هما : الحل السياسي أو الحل العسكري وقـــد فشل أوليهما ولم يبق غير الثاني ..!

ولعلي اختلف مع هذا الرأى؛ وقد وجدت دائما ولا زلت اجـــد ان هنـــاك ثلاثة بدائل وليـــس بديلين اثنين فقط .

والبدائل الثلاثة فيما أجد ... هي :

- □ الحل الدبلوماسي
- □ والحل السياسي
- □ والحل العسكري

واذا حاولنـــا ـــ ولابـــد أن نحاول ـــ تعريف وتحديد هـــذه البدائل الثلاثة ؛ ففي ظني اننا سوف نجد مايلي :

❶ الحل الدبلوماسي : هو الحل الذي يمكن العثور عليـــه ـــ لأي أزمـــة ـــ على موائـــد المحادثات وبالاتصالات الجانبية

حولها،وبحجج القانون الدولى ، وبقرارات الأمم المتحدة أو بغير ذلك مما يمكن أن تحمله الكلمات و المذكرات أو البيانات .

[هذا الحل يمكن أن ينجح فى أزمة أو فى مشكلة فوق كل الارادات الدولية أو فى أزمة أو مشكلة لاتهم اىارادة محلية أو دولية الا بقدر معين .

هذا الحل مثلا يمكن أن ينجح فى مشكلة التسابق على التسليح النووى لأن خطر الاسلحة النووية فرض على كل الارادات الدولية شعورا بالخوف منالانزلاق الىالهاوية ومن ثم وجدنا أن الأزمة والمشكلة الخطيرة للتسابق الذرى تقودأطرافها ــ وبالذات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ــ الى مائدة مفاوضات ديبلوماسية طويلة ومعقدة لكنها تسجل كل يوم نقطة تقدم .

وهذا الحل مثلا يمكن أن ينجح فى مشكلةبقاء هونجكونج حتى الآن مستعمرة من مستعمرات التاج البريطانى مع انها جزء لايتجزأ منأرض الصين ، ولكن هذه المشكلة ليست حادة حتى الآن لأن الصين لم تكن فى عجلة منأمرها لاسترداد هونج كونج كما أن بريطانيا تعرف انهناك وقتا محددا لا تستطيع تجاوزه فى تسليم هونج كونج الى الصين فضلا عن أن هذا الميناء الملفوف بالاساطير قد فقد اهميته بالنسبة لها بعد زوال الامبراطورية .

وبالتالى فانه يمكن تصور يوم تنصب فيه مائدة مفاوضات فى أى مكان ثم تنتهى المشكلة بعده وتختفى آثارها من الوجود]

وكان هناك من تصوروا فى وقت من الأوقات ان حل أزمة الشرق الأوسط يمكنأن يتمبقرار من مجلس الأمن يقبله الكل ومن ثم ينفذه الجميع وكان هذا خطأ، لان المشكلة والازمة التى صدر من أجلها هذا القرار لم تكن خارجة عن الارادات الدولية والمحلية ، كما أنها بكل ماتنطوى عليه كانت تهم أطرافا عديدين بأكثر كثيرا من حد معين !

وهكذا فان الحل الديبلوماسى لأزمة الشرقالأوسط ــ أىالحل عن طريق المحادثات والاتصالات والقانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة ــ فشل وكان لابد أن يفشل بسبب طبيعة الأزمة ذاتها

٢ الحل السياسى : وهو يتضمن ضغط طرف من الأطراف فى صراع ، ضد طرف معاد له بكل الوسائل المتاحة : الديبلوماسية ــ الاقتصاد ــ القوة المسلحة وفق حسابات العصر ــ الاعلام المستنير الذى يكسب أكبر قدر من التأييدلهدف الصراع ــ المواقف المبدئية التى تضمن أوسع جبهة من الأصدقاء والحلفاء **وذلك بهدف منع العدو من فرض ارادته .**

[هذا الحل فى ظنى هو المتاح الحقيقى لمشاكل وأزماتالعالم المستعصية وعلى سبيل المثال فهو الحل الذىتمارسه الصين

فى سبيل استعادة سيادتها على جزيرة تايوان .

كما انه الحل الذى تمارسه الثورة الفيتنامية للوصول الى انسحاب كامل للقوات الأمريكية من الهند الصينية كلها ليكون لشعوب هذه المنطقة الحق فى تقرير مصيرها سياسيا واجتماعيا دون ضغط أو خطر ولهذا فان الثورة الفيتنامية تمارس صراعها بمزيج سياسي متوازن من الوسائل المتاحة لها : ديبلوماسيا ـ اقتصاديا ـ عسكريا ـ اعلاميا ـ مبدئيا ... الى آخره]

من هنا فاننا فى أزمة الشرق الأوسط بالذات لا نستطيع أن نقول ان الحل السياسى فشل لأننا لم نمارس الا بعض وسائله ونسينا ـ ولا أقول أهملنا ـ ممارسة ما تبقى من الوسائل

❷ الحل العسكرى : ومعناه البسيط هو القوة المسلحة وحدها فى يد طرف من الأطراف فى أى مشكلة أو أزمة ـ يمسك بها من اللحظة الأولى الى اللحظة الأخيرة حتى يفرض ارادته كاملة ومطلقة فوق ارادة عدو له .

[وهذا الحل فى ظنى مستحيل فى عصرنا الراهن لأن استعمال القوة المسلحة من أول لحظة الى آخر لحظة يقتضى ارادة كاملة ومطلقة ومثل ذلك لم يعد له وجود فى عصر القوى الأعظم والموازين بينها ، وفى عصر التوازنات المؤثرة بين القارات والقوميات والعقائد والافكار المتحركة بسرعة البرق .

وحتى الذين يملكون نظريا من أسباب القوة المسلحة مايمكنهم من فرض ارادتهم على عدو لهم ، لايفعلون ذلك ولايقتربون منه . والولايات المتحدة الأمريكية تملك مثلا أن تكتسح كوبا فى ساعة واحدة لكن هناك محاذير . والاتحاد السوفيتى يملك مثلا أن يوجه ضربة شلل الى كل امكانيات الصين الذرية لكن هناك محاذير .

بل اننا نقول فى أزمة الشرق الأوسط ان اسرائيل لم تحقق انتصارا كاملا فى حرب الأيام الستة ـ وهذا صحيح ـ لأنها لم تستطع أن تفرض ارادتها مطلقة فوق ارادة العرب]

وفى صراعنا مع اسرائيل فلا اظن اننا سوف نملك فى المستقبل القريب حجم القوة العسكرية اللازم لخطوة أولى عند «القنطرة» كمدخل الى سيناء وحتى الخطوة الأخيرة عند « القنيطرة » على المرتفعات السورية ... لا حجم القوة متاح بهذه البساطة ولا الظروف المرئية مواتية بهذه البساطة .

نخرج من ذلك بأن « **الحل السياسى** » هو المطروح الحقيقى والوحيد أمامنا **بالمعنى الذى اتفقنا عليه أى بالديبلوماسية ـ والاقتصاد ـ والقوة المسلحة وفق حسابات العصر ـ والاعلام المستنير ـ والمواقف المبدئية .. الى آخره .**

وبالتالى فمن الخطأ أن نقول بفشله ونحن لم نجرب بما فيه الكفاية كل وسائله [**وفى مقدمتها القوة المسلحة وفق حسابات**

العصر] .

بل انه خطر أن نقول بفشله لأنه ليس هناك بديل متاح غيره [**لأن الحل الديبلوماسى عاجز والحل العسكرى المطلق مستحيل**]

□

يقودنا ذلك الى نظرة فاحصة على ألوان الحلول السياسية المحتملة ، وسوف نجد أن هناك أربعة ألوان على الأقل :

❶ هناك الحل السياسى الذى يقوم على **اساس الرضا بالأمر الواقع** وقبوله ، وهذا هو « **الحل الاستسلامى** » .

❷ هناك الحل السياسى الذى يقوم على أساس « **أخذ مايرضى الطرف الآخر باعطائه** » وهذا هو **الحل التقليدى** لأنه يقوم على المساومة من موقف الضعف .

❸ هناك الحل السياسى الذى يقوم على أساس « **انتزاع كل مايمكن انتزاعه باستعمال اقصى القوة الذاتية مضافا اليها كل العوامل المساعدة قريبا وبعيدا** » وهذا هو **الحل الثورى** لأنه **الحل العلمى** الذى يدرك أن النضال الوطنى والقومى مراحل مستمرة متصلة بحسابات قائمة او محتملة .

على أن نتذكر دائما أن هناك «مرحلية تقليدية» تقام على ماتصل اليه ، كما أن هناك « مرحلية ثورية » تدرك ان المراحل المتعاقبة هى حلقات فى استراتيجية طويلة الامد ، لا تعتبر كل تقدم نهاية طريق ، وانما تعتبر كل تقدم بداية طريق .

❹ هناك الحل السياسى الذى يقوم على اساس « **الاصرار على الخطوة الأخيرة قبل أن تبدأ الخطوة الأولى وهى من هنا تطلب ماهو أكثر من قوتها الذاتية مضافا اليها دعم العوامل الخارجية** » وهذا هو **الحل الطفولى** — بتعبير لينين — وهو فى الحقيقة ليس حلا لأنه يتحول فى الواقع الى نوع من أحلام النوم او أحلام اليقظة وهو فى النهاية — وعلى حد تعبير للدكتور محمود فوزى « تضييع للممكن فى طلب المستحيل » !

اذن — هكذا اتصور — فان أمامنا من **أنواع** الحلول الثلاثة المحتملة نظريا وهى [الحل الديبلوماسى — والحل السياسى — الحل العسكرى] بديلا عمليا واحدا هو : **الحل السياسى بالمعنى الذى اتفقنا عليه .**

واذن — هكذا اتصور — فان أمامنا من الوان الحلول السياسية المحتملة وهى : [الحل الاستسلامى — والحل التقليدى — والحل الثورى العلمى — والحل الطفولى] لونا واحدا مقبولا هو : **الحل الثورى العلمى**

□

ولعلنا الآن أن ننتقل من **أنواع** الحلول المتاحة ، **وألوان** الحلول المتاحة — الى **المساحات المتاحة للحركة فى سبيل الحل فى هذا الوقت والظرف**

◀ لقد اتفقنا على **النوع** المتاح لنا وهو :

الحل السياسى بمعنى حشد واستعمال كل وسائلنا الديبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والاعلامية والمدنية الى آخره لتوجيه ضغط مركز ضد العدو يمنعه من فرض ارادته علينا .

◀ ثم اتفقنا على **اللون** المناسب لعملنا السياسى للحركة من اجل الحل وهو :

الحل السياسى الثورى والعلمى الذى يسعى الى انتزاع كل مايمكن انتزاعه بأقصى القوة الذاتية مضافا اليها كل العوامل المساعدة قريبا وبعيدا [أى اقصى القوة الشاملة وطنيا وقوميا ودوليا] .

. . . . . .

. . . . . .

والآن ماهى المساحة المتاحة للحركة من اجل الحل فى هذا الوقت والظرف ؟

ولسوف نجد ان هناك سؤالا توضيحيا يجب أن يسبق، ليكون مايجىء بعده متصلا بسياق منطقى .

هذا السؤال التوضيحى هو :

ـ ماهو مؤدى أى حل سياسى مهما كان نوعه ولونه ؟

والرد هو :

ـ ان مؤدى أى حل سياسى هو نقل الأوضاع الحقيقية على ارض الصراع الى وثيقة دولية واجبة التنفيذ من كل الأطراف »

ويترتب على ذلك أن نسأل انفسنا :

ـ اذا اردنا الآن أن ننقل الى وثيقة دولية ... حقيقة الأوضاع على أرض الصراع ... فهل هذه الحقيقة ملائمة لنا أو هى غير ملائمة ؟

نظرة على الأرض امامنا سوف تعطينا حقيقة ليست هى بالضبط مانريد نقله الى وثيقة ، مع العلم بانه لايمكن لأى وثيقة واجبة التنفيذ او قابلة للتنفيذ الا ان تعكس الحقيقة على الأرض ... والا فانها ستظل حبرا على ورق وهذا بالضبط ماحدث لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وماحدث قبله لأية وثائق انشائية بليغة أكدت على وجود فلسطين وعلى حقوق شعبها .

عبرة التاريخ السياسى كله تقول لنا انه :

« لا تحترم فى هذا العالم وثيقة ... الا اذا كانت تعبيرا عن حقيقة .. »

□

سوف تقول لنا اى نظرة على الأرض الآن ان ماهو موجود ليس هو بالضبط اكثر الاوضاع ملاءمة لنا .

اننا اتخذنا قبل اسابيع قرارا بتأجيل المعركة لتوقيت آخر وذلك عن حسابات لها دواعيها من موقع المسئولية الوطنية والقومية

ومعنى ذلك ان الضغط بامكانية العمل العسكرى ليس معلقا فوق المنطقة بالدرجة المطلوبة لدفع الأزمة الى نقطة التوتر والخطر .

ونحن الآن فى جهد ضخم تبذله وزارة جديدة من اجل اعادة ترتيب الجبهة الداخلية فى مصر لمواجهة شاملة ...

ومعنى ذلك ان هناك فسحة زمان ـ أسابيع أو شهور لا اعرف ـ سوف تمضى فى هذه العملية وهذا ايضا يبقى الأزمة بعيدا عن نقطة التوتر والخطر .

هذا من ناحية القوة الذاتية

ومن ناحية العوامل المساعدة فان العوامل المساعدة بالنسبة لنا ثلاثة :

١ ـ الموقف العربى العام

[ونظرة عليه تثير القلق : معركة اسرائيل ضد الفدائيين العرب فى لبنان وفى سوريا مثلا ... مخططات الحكم العراقى للاغتيالات فى كل مكان مثلا ... خطف طائرة الى عدن فى طلب فدية تحت اسم العمل الفدائى ومنظمات المقاومة تصف المغامرة بأنها عملية نصب ... الى آخره]

٢ ـ الصداقة العربية السوفيتية

[وهذه الصداقة الحيوية والضرورية عرضة لحرب نفسية ضارية وان كان النجاح الضخم لرحلة الرئيس أنور السادات الى موسكو اخيرا قد بدد كثيرا واضاف كثيرا] .

٣ ـ الاهتمام العالمى بالأزمة

[ولابد أن نعترف أن العالم مشغول باشياء اخرى ، من حرب الهند والباكستان وقد انتهت ـ الى زيارة نيكسون للصين وما زالت أصداؤها تدوى ـ الى اجتماع نيكسون والقيادة السوفيت وهو المشهد العالمى الذى يعد له المسرح الآن ليرتفع الستار بعد شهرين] .

□

واذن ؟

اذن فانه من الناحيتين : ناحية القوة الذاتية المصرية وناحية العوامل المساعدة معها لطرح نوع الحل المطلوب للأزمة واللون المقبول لهذا الحل ـ فان الوقت والظرف الحاليين ليسا انسب الظروف لنقل الأمر الواقع الى وثيقة واجبة التنفيذ أو قابلة للتنفيذ .

ان ذلك سوف يقودنا تلقائيا الى المساحة التى يمكن أن نتحرك عليها الآن .

. . . . . .

. . . . . .

اذا نقلنا ماهو واقع على أرض الصراع الى وثيقة دولية فان هذه الوثيقة سوف تكون غير مرضية .

واذن ..

فان الأولوية الأولى فى هذه المرحلة يجب ان توجه بالكامل الى عملية تحسين للأمر الواقع على أرض الصراع ودون أن نهتم الآن كثيرا بأى شكل من أشكال الوثائق .. سواء مايمكن أن يقدم لنا ـ كحل جزئى لفتح قناة السويس ـ عن طريق الولايات المتحدة ، أو كأى محاولة يمكن أن تسفر عنها جهود الممثل الشخصى للسكرتير العام للأمم المتحدة

وهو السفير جونار يارنج .

من هنا فليس ينبغى لنا أن ندهش اذا كان ماسوف نتلقاه من الولايات المتحدة هو أوراق سخيفة لاهدف لها غير دفعنا الى مفاوضات مباشرة مع اسرائيل .

ليس ينبغى لنا أن ندهش لأن ترجمة الأمر الواقع على ارض الصراع تؤدى بالولايات المتحدة الى هذا السخف .

ومن هنا أيضا فليس ينبغى لنا أن ندهش اذاكان كلماسوف تقدمه اسرائيل ليارنج هوالصلف العنيد بالرفض الكامل لمذكرته بتاريخ ٨ فبراير ١٩٧١ وهى مذكرة طالبت اسرائيل أن تتعهد بالانسحاب من الأرض المصرية كخطوة اولى .

... ليس ينبغى لنا أن ندهش لأن ترجمة الأمر الواقع على ارض الصراع تؤدى باسرائيل الى هذا الصلف العنيد .

□

من هنا فان الوقوف امام الألفاظ فى اى ورقة تقدم لنا سواء عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية او عن طريق يارنج ـ ليس ينبغى له أن يكون شاغلنا فى هذا الوقت وهذا الظرف .

ان الألفاظ فى الأوراق نقل مسطرة عن الأمر الواقع على ارض الصراع .

واذا اردنا أن نغير الالفاظ ـ فتغييرها الحقيقى هو تغييرالأمر الواقع على أرض الصراع .

ليس معنى ذلك اننى اطالب باغلاق كل الأبواب مع الولايات المتحدة ...

وليس معناه اننى أطالب بوقف كل اتصال مع السفير جونار يارنج ...

مثل ذلك عكس قناعاتى على طول الخط .

لنسمع ماتقوله الولايات المتحدة ، ونقبله أو نرفضه عندما نشاء ، ونغلق بابا ونترك بابا آخر مفتوحا أو مواربا ...هذه مسألة تفصيلية .

ولنتحدث مع السفير جونار يارنج ، ولنناقش معه فى معانى الألفاظ ... ورنين الألفاظ ... والحلو والمر من هذه الألفاظ.. تلك ايضا مسألة تفصيلية .

المسألة الأساسية الآن هى الأوضاع على ارض الصراع وهذه كما يقول العسكريون هىجبهة المجهود الرئيسى فى هذا الظرف والوقت ..

وصلنا الآن الى المساحة التى يمكن أن نتحرك عليها الآن فى سبيل الحل السياسى بنوعه المطلوب ولونه الملائم .

هذه المساحة هى : ضرورة ادخال تحسينات كبيرة على وسائل قوتنا الذاتية وعلى العوامل المساعدة لهذه القوة الذاتية .

أى أن المساحة المتروكةأمامنا

من الوقت الآن لاينبغى أن تضيع لامع الولايات المتحدة ... ولا حتى مع يارنج .

وليس هناك ضرر من سماع ماتقوله الولايات المتحدة ... ولكن ليس هناك نفع محقق الان

وليس هناك ضرر من سماع مايقوله السفير يارنج ... ولكن ليس هناك نفع محقق الان !

ولنسمع ماتقوله وشاعوا .

ولكن لندرك ان جبهة المجهود الرئيسى ليست فى سماع ذلك كله ، ولكن فى تحسين اوضاعنا — كماقلت — وعلى ارض الصراع ذاتها ..

لنبحث عن كل اضافات ممكنة الى قوتنا الذاتية .

لندرس اية احتمالات متاحة لنا فى مجال استعمال القوة العسكرية كما هى الآن أو كما ستكون بعد أسابيع أو شهور .

لنفكر فى طريقة نعيد بها ترتيب الأمور بشكل أفضل فى المجال العربى القومى .

لنفتح أكثر مع الاتحاد السوفيتى .

ولنكن اكثر جسارة فى العالم لنشد اهتمامه الى نضالنا ولنربط مصالحه ومبادئه بموقفنا .

□

هذه هى المساحة المفتوحة لحركتنا هذه اللحظات وبها يمكن أن تتصاعد الى **الدرجة** التى نصبح فيها قادرين على صنع حقيقة مختلفة نقبل صياغتها فى وثيقة دولية واجبة التنفيذ أو قابلة للتنفيذ .

وثيقة يكون فيها واضحا ومؤكدا أننا تحدينا ارادة العدو ورفضنا فرضها علينا ... ذاكرين دائما انه فى المجال الدولى : لا قيمة لوثيقة الا ترجمة لحقيقة ...

□

ثم لعلى اعتذر اذا بدا الحديث مركزا الى درجة تجعله غير مفهوم ينوه قارئه فيه بين «النوع» و « اللون » و « المساحة » و «الدرجة» فى العمل السياسى!

محمد حسنين هيكل